The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Jonah 2:9-4:11	سِفْر يونان 2: 9 4: 11
#823	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 823
Pastor Chuck Smith	الرَّاعيتشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَجِ الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِسِفْرِ يونان على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث". فبعدما تعلَّمنا في الحلقة الماضية أنّنا نراعي أُكذوبة باطلة إذ ظَنّنا أنه بإستطاعتنا الهروب من وجه الله، سنكتشف في حلقة اليوم أن الخلاص هو أمر لا نستطيع أن نُحقِّقَه بمجهوداتنا الذاتية وأعمال برِّنا الذاتي.

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على سِفر يونان، الأصحاح الثَّاني، والعدد التاسع. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

نبدأ مستمعي الكرام درسنا في هذا اليوم من سفر يونان الأصحاح الثاني والعدد التاسع ونرى هنا أن النبي يونان يصرِّح قائلًا:

أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبَحُ لَكَ.

لم يستَطِع يونان أن يقدِّم حَمَلاً أو أي أمر آخر إذ كان في جوف الحوت، كما أنه لم يستطع أن يُشعِل نارًا ويقدِّم ذبيحةً، وهكذا كان عليه أن يكتفي بتقدمة الشُّكر؛ فذبيحة الشُّكر والتسبيح هي الذبيحة التي يُشجِّعنا العهد الجديد على تقديمها كما نقرأ في الرسالة إلى العبرانيّين، الأصحاح الثالث عشر والأعداد 15 و16 حيث نجد أنّ الله يرغب في تسبيحات مفديِّيه وتشكّراتهم، لا في قرابين من حيوانات أو حنطة. "فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ. وَلَكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ." إنّ ذبائح التسبيح الخارجة من أفواه شعب الله تُسِرُّه حين تصحبها أفعال تنمُّ عن المحبّة.

ويتابع يونان في العدد نفسه، أي الآية التاسعة، ويقول:

وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ.

وجد يونان نفسه في الوضع ذاته الذي كان فيه النوتية، أي يقدم ذبائح وينذر نذورًا، ويمكن لنذر يونان أن يكون تنفيذ إرادة الله في حياته من خلال الكرازة في نينوى.

"للرب الخلاص". يا لَهُ من درس مهمّ علينا أن نتعلَّمه، وهو أنّ الخلاص ليس بالأعمال. ليس بأعمال بِرِّي الذّاتي، ولا بمجهوداتي الذاتيَّة. لقد حاولتُ لِوَقت طويل أن أُرضي الله وأُسِرُّه بأعمالي ومجهوداتي. لكن يا لَهُ من يومٍ مجيد عندما تعلَّمت هذا الدرس الذي تعلَّمه يونان. تعلَّمت أنَّ الخلاص هو من عند الربَّ. "لِلربِّ الخلاصُ".

إني تعلَّمت هذا الدرس بعد اختبارات وتجارب عديدة، مُرَّة ومؤلمة وفاشلة. كنت أُحاوِل أن أفعل ما هو صحيح وقويم، ما هو عادل ومنصف، ما هو حقّ وصواب، غير قادر على أن أقوم بهذا دائمًا وبالتالي شاعرًا بهذا الفشل أمام الله... إلى أن وَصَلْتُ إلى هذه الحقيقة التي اكتشَفَها يونان في جَوْف الحوت. "للربِّ الخلاص."

والآن، نصل في دراستنا لسِفر يونان، إلى الأصحاح الثالثِ والأعداد 1 إلى 3:

ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً: «قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا». فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ.

يُعيدنا الله مرَّات كثيرة إلى "نقطة الصِّفْر" إلى حيث فشلنا إلى المكان الذي علينا أن نبدأ منه ثانيةً. إني أتساءل كم مّرَّة أعادني إلى نقطة الصِّفر، إلى حيث فشلت، ثم قال لي "حسنًا" من هنا يجب أن تبدأ من جديد. أنا لا أستطيع أن أُتابع إلى أن أنتصر على فشلي في هذه النقطة بالذات وأتغلَّب على نقطة ضعفي في هذا النطاق الذي سبق وفشلت فيه. فلا أستطيع أن أُواصِل التقدُّم الذي تحقَّق بنعمة الله في حياتي قبل أن أُصبِح مطيعًا لمشيئة الله في حياتي وكل أُموري. قد أواجه الأمور ذاتها التي سَبَقَ لي أن واجهتها، لكن هذه المرَّة أواجهها طائعًا للربّ ولمشيئته في حياتي، وهكذا أتقدّم إلى مكان آخر.

الأعداد 3 5 تقول:

أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً لِلَّهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ وَنَادَى: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً تَنْقَلِبُ نِينَوَى». فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللَّهِ وَنَادُوا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحاً مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ.

يا لَهُ من أمر لافتٍ للنظر وجدير بالملاحظة. مِمَّا لا شَكّ فيه أن يونان كان مُمتعِضًا، وهذا أمر يظهر واضحًا عندما نكمل قراءة السِفر. إنَّ رفض يونان للأُمم وكرهه أن يشاركوه الخلاص جعلاه يمتعض من إظهار الله لرأفته على أهل نينوى مُبيِّنًا بذلك السبب الحقيقي الكامن وراء هروبه إلى ترشيش. دعونا نلاحظ هنا أنه لم يكن ثمَّة رجاء في رسالته إذ كانت رسالة دينونة: "بعد أربعين يومًا تنقَلِب المدينة". لكن الشعب صدَّق كلام الله على فم يونان وآمنوا بالله.

ثم نقرأ في الأعداد 5 إلى 8 ما يلي:

فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللَّهِ وَنَادُوا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحاً مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ. وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَنُودِيَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلًا: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئاً. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً. وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ وَيَصْرُخُوا إِلَى اللَّهِ بِشِدَّةٍ وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ.

"فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللَّهِ": من الناحية الإلهية، كانت هذه التوبة الجماعية عملاً إلهيًا معجزيًّا. وقد تجاوب أهل نينوى الوثنيُّون مع دعوة النبي المتواني، مظهرين بذلك قوة الله على الرغم من ضعف خادمه.

"لا تذُق الناس والبهائم". كانت عادة فارسيَّة أن تُستَخدم البهائم في مراسيم الحداد. وكان أمر الملك وعظمائه قائلاً: لا تَذُق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئًا. ولا تشرب ماء. وليتغطَّ بمسوح الناس والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدَّة، ويرجعوا كلّ واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم.

إنّ شعب نينوى تاب فعلاً واستجاب لِنِداء النبي الممتعض والغاضب. فعلى أي أساس تابوا؟ لم يذكر ذلك يونان. لم يقل لهم يونان: "تُوبوا وإلاّ ستهلكون." لم يكرز يونان بالتوبة قَطّ. في الحقيقة، إنّه لم يُرِد أن يتوبوا كَوْنَه غضب عندما تابوا، لكنهم تابوا على هذا الأساس.

نقرأ في العدد التاسع:

لَعَلَّ اللَّهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ.

لم يكن لشعب نينوى ذاك النوع من الرجاء. كل ما كان لهم كان "لعَلَّ".

ثم نقرأ في العدد العاشر التالي:

فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ نَدِمَ اللَّهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ فَلَمْ يَصْنَعْهُ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل الله يندم ويغيِّر قراراته؟ يقول أحد معلِّمي وشارحي الكتاب المقدَّس المباركين في معرض تفسيره لهذه المشكلة ما يلي:

"يخبرنا الكتاب المقدَّس بأنّ الله يحبُّ البشر وهو لا يريد أن أحدًا يهلك، بل أن يرجع الناس عن طرقهم الرديئة لكي يخلصوا. ولأجل ذلك أرسل يونان إلى نينوى إذ أنّه ليس متفاعلاً مع الأحداث، بل فاعلًا لها. والله لم يُرسِل يونان إلى نينوى برسالة إنذار، ثمّ يهلك المدينة، بل لكي تتوب فيخلّصها. والله في هذه الحادثة لم يتغيَّر، بل الذي تغيَّر هم أهل نينوى، تغيَّروا من شعب متمرِّد عاصٍ، إلى شعب تائب مؤمن. عندما قال يونان: "بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى" كان أهلها آنذاك عُصاة أشرارًا، وعندما تابوا ندم الله. لقد ندم الله عن الشرّ الذي كان سيصنعه بهم، لأنّ أهل نينوى ندموا على شرورهم التي ارتكبوها، وصاروا الآن غير الذين صدر عليهم الحكم بالانقلاب.

وللتشبيه أقول: رَجُل سائر، والريح العاتية تواجهه بقوّة، وهو يبذل جهدًا كبيرًا بسَيْرِهِ عكس اتجاه الريح. ثُمَّ بعد ذلك غيَّر الرجل اتجاهه، فبعد أن كان يسير تجاه الشرق مثلاً، صارَ يسير تجاه الغرب. ثُمَّ قال: كانت الريح تواجهني وتعيق سيري. أمّا الآن فالريح من خلفي تدفَعُني إلى الأمام. الذي حدث ليس أنَّ الريح غَيَّرت اتجاهها، بل هو الذي غيَّرَ إتِّجاهَهُ.

نلاحظ هنا أن هذا التغيِّير كان واضحًا. فالنبي يونان قال، "بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى." وكنتيجة لذلك تابوا كلّهم، ولم يأتِ عليهم الهلاك. إنّنا كبشر محدودون، ولغتنا البشرية محدودة. فعندما نستخدِم تعابيرنا البشرية المحدودة لنصف حالة كهذه الحالة نقول، "نَدِمَ الله ولم يُهلكهم. إن حقيقة الأمر هي أنَّ الله كُلّي المعرفة، وبالتالي كان يعرف أنهم سيتوبون. لهذا أرسل لهم يونان. فهو كان يعرف أنّ الهلاك لن يصيبهم. لكن بالرغم من ذلك، لو لم يتوبوا لكانت الدينونة قد وقعت عليهم ولكانوا قد هلكوا. فالله يعرف النهاية من البداية. قد تقول، آه، أنا لا

استطيع أن أفهم ذلك. طبعًا أنت لا تقدر أن تفهم هذا الأمر وذلك لأنّ عقلك محدود وفهمك محدود. فنحن كبَشر، كما سبق وقلنا بأننا محدودون. إنَّ الله يقول في سِفر إشعياء، الأصحاح 55 والأعداد 8 و9: "لأنَّ أفكاري ليست أفكارَكم، ولا طُرُقكم طُرُقي، يقول الربّ. لأنّه كما عَلَت السماوات عن الأرض، هكذا عَلَتْ طُرُقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم". وهكذا نجد أنّ طرق الربّ وأفكاره هي فوق مُتناوَل فَهْمِنا البشري، وبالتالي كل محاولاتنا لفهم هكذا أمور هي عديمة الجدوى إذ ليس من أحد يستطيع أن يفهم بالتّمام طبيعة الله الغير المحدود بكل جوانبها، كما أنه ما من أحد يستطيع أن يدرك بكلّ معنى الكلمة سجاياه وكمالاته.

والآن صديقي المستمع، لنعود للأصحاح الرابع من سِفر يونان حيث يبدأ الأصحاح بالآيات التالية:

فَغَمَّ ذَلِكَ يُونَانَ غَمّاً شَدِيداً فَاغْتَاظَ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وقال: "آهِ يَا رَبُّ أَلَيْسَ هَذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذَلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلَهٌ رَأُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ خُذْ نَفْسِي مِنِّي لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي."

وكان جواب الله ليونان هو التالي، كما نقرأ في الأعداد 4 إلى 7:

فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟». وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلَهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ لِيُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحاً عَظِيماً. ثُمَّ أَعَدَّ اللَّهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ.

نلاحظ أنّ الله أعَدَّ حوتًا وأعدَّ دودة وأعدَّ يقطينة.

ثم نقرأ في الأعداد 7 إلى 11:

ثُمَّ أَعَدَّ اللَّهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ رِيحاً شَرْقِيَّةً حَارَّةً فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ وَقَالَ: «مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي. فَقَالَ اللَّهُ لِيُونَانَ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ». فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ.؟»

نَبْتَة بِنْت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. لم يَسْقِها يونان، ولم يقم بأي عمل لتنمو وتكبر. إنها مجرّد يقطينة، ومع هذا عندما يبست لأنّ الدودة ضَرَبتها شَفِقَ يونان عليها. غريب أمر يونان! إنّ محبّة الله لشعب نينوى الذين هم خليقته، تختلف كثيرًا عن عدم اكتراث يونان للّعنة التي قد تحلّ بهم، وأعظم من حِرْص يونان الملتوي على نبتة لم يقدِّم لها شيئًا. أيضًا، إن كان الله مستعدًّا أن لا يُهلك سدوم من أجل عشرة أبرار لوْ وجِدوا فيها، فكم بالحري مدينة تضمُّ اثنتي عشرة رِبوة من الناس عرَّفَهم الكتاب المقدس بأنّهم لا يعرفون يمينهم من شمالهم.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

لا تُحاوِل الهروب والإختباء من الله، يا صديقي. فمن المؤكّد أن الله يعرف ما هو الأفضل، ويريد لك ما هو الأفضل. إنْ حاولتَ أن تفعل أي أمر مخالف لإرادته فإنك تدعو البؤس والشقاء إلى حياتك. إنّ الله يريد خيرك فلا تُقاوِم مشيئته في حياتك، وإلاَّ ستُلاحِقك الكوارث والنكبات.

وَفِي الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيبدأ الرَّاعي "تْشَك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) دِراسَتَهُ لِسِفْرِ ميخا. لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

هكذا نرى في نهاية سِفر يونان كيف أنّ الله هو إله الرحمة والنعمة. إنه لا يريد أن يهلك أُناس بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة. مشيئة الله أن الجميع يخلِصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون كما تقول الآية في رسالة تيموثاوس الأولى، الأصحاح الثاني والعدد الرابع.

يا للأسف، فمع أن يونان قد عرف منذ البداية شخصيَّة الله ورحمته، ونال العفو من الله، لم يُرِد لنينوى أن تعرف رحمة الله. إنّ يونان الذي هو نفسه كان غَرَض النعمة، لم يجد فرحًا في هذه النعمة، بل وجد فَرَحه في اليقطينة التي أراحته مؤقّتًا من حرارة الشمس. سُرَّ بنجاته من لفحات الشمس الحارقة، ولم يفكِّر بمصير الملايين الذاهبة إلى النار الأبديَّة التي لا تُطفأ. لقد فرح باليقطينة الزائلة، ولم يشارك السماء فَرَحَها في توبة الآلاف من أهل نينوى.

النّداء الوحيد لك أنت أيضًا، صديقي المستمع، كي تنجو من الدينونة الإلهيّة هو أن تأتي إلى الربّ يسوع المسيح تائبًا ومؤمنًا وتتَّخذه ربًّا ومخلِّصًا شخصيًّا لك لكي تكون لك الحياة الأبدية، وإن كنت قد خلصت فصلاتنا إلى الله من أجلك كي تحيا حياة الطاعة لله ولكلمته المقدَّسة. وَهُوَ يَستحقُّ كُلَّ تسبيحٍ وتَمجيد مِنَ الآن وإلى الأبد. آمين!